

فلسفة الوحدة الإسلامية

(الباشورة نموذجاً)

الكتاب : فلسفة الوحدة الإسلامية (الباشورة نموذجاً)
 المؤلف : الدكتور أحمد محمد قيس أستاذ جامعي لبناني
 تنضيد وإخراج : عبد القادر كرزي
 الطبعة الأولى : ٢٠٢٦ م - ١٤٤٨ هـ
 الناشر : دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



تصميم الغلاف : الأستاذ حسين أحمد قيس

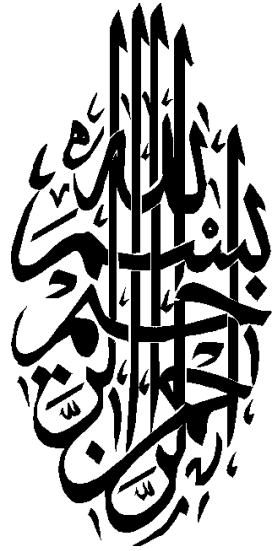
فلسفة الوحدة الإسلامية

(الباشورة نموذجاً)

إعداد

الدكتور أحمد محمد قيس

أستاذ جامعي لبناني



الإهداء

إلى النبي الأعظم ﷺ
وآل بيته الطاهرين عليه السلام
وذراريه الأشراف المحترمين

أهدي ثواب هذا العمل

تقديم الشيخ غازي حنينه

رئيس مجلس الأمناء في تجمع العلماء المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله
الأطهار وصحبه الاخيار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لعله من القدر الرباني، أن تأتي السنوات الأخيرة من
عمر الأمة الإسلامية، والمجتمع الإنساني، باحداث
جسامٍ غيرت كثيرٍ من المعطيات السياسية والعسكرية
والاقتصادية، وحتى الفكرية على مستوى الأمة
الإسلامية، وغيرها، لتؤكد أهميّة الوحدة الإسلامية،
وضرورتها في مسيرة حياتنا.

وما كنا لنسوق هذه المقدمة لتأكيد ثوابتنا الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فحسب، إنما قصدنا من ذلك لنؤكد لضعاف النفوس والإيمان، إن ما من أمراً أمرنا الله به إلا فيه الخير والعز المجد، والنصر لامتنا الإسلامية في حاضرتنا ومستقبلنا، ولذلك كانت الوحدة الإسلامية ركيزة مهمة في المواجهة الحاصلة في هذه المرحلة.

ومن هنا كان كتاب الدكتور أحمد قيس حفظه الله، فلسفة الوحدة الإسلامية (الباشورة نموذجاً)، عنوان تفصيلي له البعد التاريخي، والجغرافي، والسكاني وإن كانت منطقة الباشورة تعتبر إلى حد ما خارج مدينة بيروت التاريخية، إلا أنها مع تطور العمران وزيادة النمو السكاني، تحولت إلى منطقته سكنية تضم أطراف المجتمع اللبناني بكل طوائفه، وبالتالي تحولت مقبرة الباشورة الإسلامية إلى جبانة تضم رفات أبناء المسلمين من شتى الانتماءات المذهبية والفقهيّة، وهذه ما أكدته الوثائق التاريخية، والتي كانت مصدراً أساسياً في معاني الأخوة الإيمانية الإسلامية بين كل اتباع المذاهب الفقهيّة، وهذا

ما أراد المؤلف جزاه الله كل خير ان يظهره للعيان، من خلال السجلات والمعلومات التي استقاها من أساتذه وأفاضل من علمائنا الكرام، للأستاذ الدكتور أحمد قيس كل الشكر والتقدير على هذا الكتاب النفيس الذي يزيد فى مساحة ثقافة الوحدة الإسلامية التي نحن بأمس الحاجة إليها، بالإضافة إلى أنني أضمت صوتي إلى صوت المؤلف الدكتور قيس بضرورة العناية بالآثار العريقة الإسلامية التي تضمها هذه الجبانة، وبالأخص قبور وأضرحة الأشراف والعلماء تغمدهم الله بواسع رحمته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المقدمة

في البداية نشير إلى أن هذا العنوان يبدو وللهولة الأولى قد أشبع بحثاً ودراسة، إلا أنه وعلى الرغم من كثرة هذه الأبحاث والدراسات يبقى من الواجب على الدعاة والمثقفين والنخب الفكرية الاشتغال عليه ودراسته في كل زمان ومكان من جوانب جديدة، لأنه العامود الفقري والبنيان الذي تعتمد عليه الأمة الإسلامية من أجل نهضتها وصلاحتها.

ولقد فهم الأعداء هذه المسألة الحساسة لا بل البالغة الخطورة، لذا فإنهم أعملوا أساليب الهدم في هذا البنيان المركزي في جسد الأمة الإسلامية، وكانوا ولا يزالوا يبدعون أساليب خبيثة وشيطانية من أجل تفرقة أبناء هذه الأمة، في سبيل إضعافها والهيمنة على ثرواتها واستعمارها ولو بشكل غير مباشر.

وبما أن هذه الأساليب تتغير وتتبدل من حين لآخر، فإنه من الواجب على كل من نال حظاً من العلم والتقوى التصدي لهذه الأساليب والمحاولات على كافة الصعد وفي كل الأوقات، وبهذا المعنى لا يكون هذا البحث أو غيره من الدراسات ممجوجاً لكثرة المشتغلين عليه، وخاصة إذا ما كانت هذه الدراسات تتناول مواضيع جديدة ومن زوايا مختلفة لم تعالج من قبل.

أهمية هذه الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة أنها تسلط الضوء على مصاديق حقيقية وواقعية وأدلة محسوسة على التناغم والتفاعل الإسلامي الوحدوي، وبعبارة ثانية: تسليط الضوء على نواة اجتماعية في قلب العاصمة اللبنانية بيروت، حيث تجسدت فيها معاني الوحدة الإسلامية في الماضي، وأن هذه الوحدة لم تكن اعتبارية أو نظرية بل أكدتها الآثار العمرانية وغيرها، وينقل أيضاً التاريخ قصصها وأحداثها، وعبرها وحكاياتها، كما أن حاضرها يشهد على كل ذلك، هذا بالإضافة إلى الكشف عن بعض أسرار مقبرتها المنسية أو المغفول عنها.

المنهج المعتمد

إن طبيعة هذه الدراسة المتشعبة بين الفلسفة والتاريخ والآثار والأنساب فرضت علينا جملة من المناهج التي لا يمكن تجاوزها أثناء دراسة المسائل المطروحة وطبيعتها، فكان المنهج الاستقرائي الناقص معتمداً في المسائل التاريخية، كما أن المنهج الاستدلالي جاء مع المسائل ذات الاعتبار الفلسفي، هذا بالإضافة إلى منهج التحليل والتركيب في العديد من المسائل، وأيضاً المنهج التصويري والوصفي في دراسة معالم بعض الآثار، وغير ذلك من مناهج اقتضتها طبيعة المسائل التي كنا ندرسها أو نشتغل عليها.

تقسيم الدراسة

وبناءً على ما تقدم، فقد جاءت هذه الدراسة على شكل مقدمة وثلاثة فصول مع ملحق فوتوغرافي وفق التقسيم والترتيب الآتي:

١ - المقدمة وهي التي بين أيدينا .

٢ - الفصل الأول ويتضمن:

أ - فلسفة الوحدة بالمعنى الأعم .

ب - الوحدة الإسلامية .

ج - المجتمع الإسلامي الوحدوي .

٣ - الفصل الثاني ويتضمن:

أ - إطلالة مختصرة على بيروت في التاريخ .

ب - إطلالة مختصرة على الباشورة ومعالمها .

ج - أهم الشخصيات الوحدوية البيروتية

ونسبها الشريف .

٤ - الفصل الثالث ويتضمن:

أ - الأدارسة ومقبرة الباشورة .

ب - حمود وذريته .

ج - كلمة أخيرة وتوصية .

٥ - الملحق الفوتوغرافي ويتضمن :

أ - ملحق الفصل الثاني .

ب - ملحق الفصل الثالث .

هذا بالإضافة إلى الفهرس العام للمصادر والمراجع
والفهرس الخاص بالموضوعات بشكل عام .

ونحن نعمل على هذه الدراسة لم يغب عن بالنا أن
هذا الجهد المبذول هو جهد الممكن القاصر كما لا
نغفل عن قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) .
وعلى أمل أن تفتح هذه الدراسة أبواب دراسات
أخرى عند أهل العلم والمعرفة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد قيس

(١) سورة الإسراء، الآية : ٨٥ .

الفصل الأول

- أ - فلسفة الوحدة بالمعنى الأعم
- ب - الوحدة الإسلامية
- ج - المجتمع الإسلامي الوحدوي

أ - فلسفة الوحدة بالمعنى الأعم

إن مقارنة الفلسفة في حدّها العام باعتبارها أوج الخطاب النظري لمسألة (الوحدة)، هو إثارة الأسئلة الفلسفية حول هذه المسألة، والبحث عن الأجوبة بطريقة تترك المجال رحباً أمام تفصيل الجواب لاحقاً في طيات هذه الدراسة، فيما الاختصار المفيد والإشارة المعبرة تبقى الأسلوب المعتمد كمساهمة متواضعة في باب من أبواب المعارف الإلهية والفلسفية والإنسانية.

إذ أن أصول المباحث الفلسفية لا تختلف عن أصول المباحث الدينية في المسائل المتعلقة بالكلّيات أو المسائل الغيبية، فالموقف الفلسفي هو موقف تفسيري كشفي، كما هو موقف العلم من حقائق الوجود التي يكشف عنها ويفسر طبائعها وعلاقاتها.

والمذاهب الفلسفية في معنى (الوحدة) كثيرة ومتعددة، وإن كنا لن نطيل الكلام عنها، كما أننا لا

نتبّأها أو نعتقد بها، فالوحدة بحسب هؤلاء هي: «القول بالمبدأ الواحد أو الجوهر الواحد في الوجود، أو بنوع من الجوهر وإن تعددت أفراده، ويستوي في ذلك أن يكون هذا الجوهر الواحد مادة أو روحاً، فالمذهب الذي يقول إنه لا يوجد في الكون إلا مبدأ واحد هو المادة يعد تماماً مثل المذهب الذي يقول إنه لا يوجد إلا مبدأ واحد هو الروح أو العقل. من هنا فإن الوحدة إما أن تكون مادية محضة، أو روحية محضة»^(١).

وهناك أيضاً مذهب في وحدة الوجود يقول: «إن كل شيء هو الله، أو أن الله هو كل شيء، أي أن العالم هو الله، والله هو العالم. وقولهم هذا فهم على معنيين:

أ - الله وحده هو الحقيقي وما العالم إلا مجموع من التجليات أو الصدورات التي ليست لها أي حقيقة ثابتة، ولا جوهر متميز.

ب - العالم هو وحده الحقيقي، والله هو مجموع كل

(١) موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ذوي القربى، قم، ت ١٤٢٧، ط ١، ج ٢، ص ٦٢٣.

ما هو موجود. والقائلين بهذا هم أصحاب مذهب (وحدة الوجود الطبيعية) أو (وحدة الوجود المادية)»^(١).

وأصحاب هذه الآراء التي ذكرناها لم يستعرضوا مسألة (الوحدة) من الناحية القيمية، أو ما يعرف بفلسفة القيم، إذ أن دراسة مسألة (الوحدة) وفق مبادئ فلسفة القيم هي التي تعيننا في بحثنا هذا، وتحديدًا القيم الأخلاقية.

والقيم الأخلاقية هي قيم أشخاص وقيم أفعال، وليست قيم أشياء، إذ أنها تتعلق بالنية والفعل والإرادة، وعليها يتوقف الاحترام وعدم الاحترام، والشعور بالمسؤولية والشعور بالذنب والخطيئة، فالقيمة الأخلاقية تتعلق بالشخص أو بأحد أفعاله: فالاستقامة، والأخلاق، والثقة، والأمانة، وروح البذل والتضحية تحمل في داخلها قيمتها الأخلاقية. والقيم الأخلاقية استقلال ذاتي أو إحساس شخصي ولها سمات يمكن الكلام عنها وفق الآتي:

(١) موسوعة الفلسفة، م. س.، ص ٦٢٥، ج ٢.

أ - القيمة الأخلاقية هي قيمة خير، وتبعاً لذلك فهي نسبة إلى ذات، فإخلاص الواحد خير للآخر، والثقة خير لمن يفيد منها، والمحبة خير للمحبوب، والصدقة خير للصديق، ومع ذلك فإن القيمة الأخلاقية تكفي نفسها بنفسها، إذ تبقى قيمة، بغض النظر عن كونها ستفيد خيراً للغير، إنها قيمة للشخص وقيمة لسلوكه.

ب - والقيمة الأخلاقية تقصد شخصاً أو جماعة من الأشخاص، وسواء كان ذلك بهدف نية أم فعل، فإن موضوع سلوك الشخص هو دائماً شخص من جديد، فالفعل يتعلق بالأشخاص لا بالأشياء، والنية تستهدف أشخاصاً لا أشياء. وهذه النسبة إلى شخص الغير تقوم في تركيب القيمة الأخلاقية نفسها، فقيمة الخير الموجودة في الإخلاص لشخص آخر تقوم على الثقة التي يستشعرها الشخص نفسه وثبات نيته.

وهاتان القيمتان ليستا متطابقتان، فإن يضع المرء ثقته فيمن يثق، هذا يتعلق بسلوك الأول، لكن الإخلاص هو سلوك للموثوق فيه.

ج - توجد نسبة للقيمة تجاه الذات، لأنه توجد

علاقة بين القيمة وحاملها، فلا يقدر على السلوك مسلماً أخلاقياً إلا الذات التي يمكنها أن تريد وتفعل، وتضع لنفسها غايات وتتابعها، ولها مقاصد وتشعر بقيم.

والقيم الأخلاقية ترتبط بالشخص كله، لا بهذا الفعل أو ذاك من أفعاله، لأن الشخص بأكمله هو من وراء كل واحد من هذه الأفعال^(١).

بناءً على ما تقدم، فإن فهم مسألة (الوحدة) وفق مبادئ فلسفة القيم نتج عنها جملة من المبادئ والقواعد العامة التي تتلاقى مع المفاهيم والاعتبارات الدينية الإلهية والتي سنتحدث عنها في السياق.

والوحدة المجردة مقابل الكثرة تصبح ضعفاً، في حين أن الكثرة الموحدة هي قوة مطلقة وفق قانون ومبادئ السببية الحاكمة. وهذه بعض الشواهد على ذلك، يقول المولى سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوعٍ﴾^(٢)،

(١) للتوسع أنظر: موسوعة الفلسفة، م.م.، ص ٥٣٢.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

وبحسب المفسرين فإن معناه باختصار: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان متراص محكم لا ينفذ منه العدو. وهذا يعني أن كثرة المقاتلين عندما يوحدهم الصف المحكم يصبحون في هذه الحالة قوة واحدة لا يمكن هزيمتها.

أو كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١). وبحسب كتب التفسير أيضاً: وتمسكوا جميعاً بكتاب ربكم وهدى نبيكم ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم وبالتالي خسارتكم، فحبل الله هو الجامع لكم وفيه فلاحكم ونجاحكم وقوتكم.

والحديث المتواتر عن النبي ﷺ في جميع كتب المسلمين يقول فيه: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

والنبي الكريم ﷺ في هذا الحديث الشريف شبه الأمة على كثرة أفرادها بالجسد الواحد حيث أن أي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ضرر يلحق بأي جزء فالكل مسؤول عن مساعدته حتى يبقى هذا الجسد واحداً وسليماً وقوياً.

يقول مالك بن نبي: «الحياة لا تحلل الظواهر وإنما تركيبها، فإذا ما كانت العناصر متوافقة قابلة للاندماج صاغت منها الحياة (تركيباً)، أما حين تكون متوزعة متضاربة، فإنها تجعل منها (تلفيقاً)، أي مجرد تكديس، هو والفوضى صنوان»^(١).

فالكثرة المتناغمة والمتألّفة هي وحدة قوية ذات أبعاد قيمية أخلاقية تحمل الخير للجميع من سعادة ونهضة وصلاح.

(١) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ت٢٠٠٦م، ط٦، ص٧٧.

ب - الوحدة الإسلامية

تعتبر مسألة الوحدة الإسلامية من المسائل التي شكّلت الغاية الأسمى لكل الأنبياء والدعاة والمصلحين عبر التاريخ من لدن رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار، إلى الصحابة الأخيار والتابعين مروراً بكل الحريصين على هذا الدين الحنيف، وذلك على اعتبار أن المفاهيم الإسلامية الأصيلة لا يمكن لها أن تحلّق وتسمو في فضاء الإنسانية على امتداد المعمورة إلا من خلال هذا التكامل والانسجام بين أبناء هذا الدين الشريف انسجاماً مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١). أو كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، بالإضافة إلى

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

العديد من الآيات الكريمة التي تحث المسلمين للسعي في سبيل التكامل والوحدة في الله ولله سبحانه.

والنبي الكريم ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة»^(١).

بالإضافة إلى العديد من الأحاديث الشريفة الواردة عنه ﷺ في هذا الخصوص ومنها الدالة على المعنى المتقدم، كما في (كنز العمال) عن علي رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ فقال: لا خير في العيش إلا لمستمع واعٍ أو عالم ناطق، أيها الناس إنكم في زمان هدنة وإن السير بكم سريع، وقد رأيتكم الليل والنهار يلبيان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاد لبعد المضمار. فقال المقداد: يا نبي الله

(١) الكافي في الأصول والفروع، محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٠٠.

ما الهدنة؟ قال: بلاء وانقطاع، فإذا التبست الأمور عليكم كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مُشفع، وماحل مُصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار، وهو دليل إلى خير سبيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم عميق، بحر لا تحصى عجائبه ولا يشبع منه علماءؤه، وهو حبل الله المتين، وهو الصراط المستقيم، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودالٌّ على الحجة»^(١).

لذا فإن ما تشهده مجتمعاتنا الإسلامية والعربية اليوم من خلافات وتناحر، ودعوات بعيدة عن روح الإسلام ومقاصد الشريعة السمحاء، فهو دليل على ابتعاد المسلمين بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن تدارس ما في القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع، والذي يعدّ مصدر كنوز العلم والمعرفة والأخلاق، والذي يدعو إلى عمارة

(١) المؤلف والمختلف في التفسير، أحمد قيس، دار الملاك، بيروت، ت ٢٠١٨م، ط ١، ج ١، المجلد الأول، ص ١١ و ١٢.

الأرض واستخلافها بالرحمة والود والتعاون والدفع بالتي هي أحسن .

وطالما حثّ النبي ﷺ في العديد من المناسبات وخصوصاً في موارد الاختلاف بين أبناء أمته على ضرورة العودة إلى القرآن الكريم ، والتمسك بحبل الله المتين ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (١) .

وهذه كتب المسلمين من كافة المذاهب والمشارب زاخرة بالأحاديث عن النبي ﷺ بطرق متعددة، يحثّ فيها المسلمين على التعاضد وعدم التنازع والاختلاف ، كما أنه ﷺ دعاهم عند حصول الاختلاف حول أي مسألة بالعودة إلى كتاب الله سبحانه حتى يتبين لهم الرشد من الغي ، والهدى من الضلال ، والنور من العمى .

ومما تقدم يتبين معنا أن النبي ﷺ كانت من جملة معجزاته الإلهية ، أنه ﷺ قد وضع مسبقاً بين يدي أمته العلاج الآمن والفعال لذلك المرض الخبيث الذي

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

سيعصف في مستقبل الأمة، وكيف لا يفعل ذلك وهو الذي أخبرنا المولى عنه ﷺ في محكم كتابه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١). وعلى كل حال، فإن واقع أمتنا يؤكد مدى الحاجة إلى هذا العلاج الذي وصفه رسول الله ﷺ حتى نبلمس ونعالج به أمراض العصبية والمذهبية والفرقة التي تفتك بنا اليوم.

وحول هذا المعنى المتقدم يقول بن نبي: «العالم الإسلامي اليوم خليط من بقايا موروثه عن عصر ما بعد الموحدين، وأجلاّب ثقافية حديثة جاء بها تيار الإصلاح، وتيار الحركة الحديثة، وهو خليط لم يصدر عن توجيه واع، أو تخطيط علمي، وإنما هو مجموعة من رواسب قديمة لم تصف من طابع القدم، ومستحدثات لم تتم تنقيتها. هذا التلفيق لعناصر من عصور مختلفة، ومن ثقافات متباينة، دون أدنى رباط طبيعي أو منطقي يربط

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

بينها، عالم متضارب منطوق على ألوان من التناقض والتنافر التي تجمعت وتراكمت في هيئة فوضى^(١).

إن توصيف بن نبي المتشائم هذا، كان في مرحلة اشتداد الغزو الفكري والثقافي للأمتين العربية والإسلامية، حيث أنه لم يرَ أو يتفاهل بالحركات التأصيلية التي كانت تقود المواجهة في وجه هذا الغزو، والتي كان على رأسها جمال الدين الأفغاني.

فالسيد جمال الدين الأفغاني هو أول من رفع وطرح شعار الوحدة الإسلامية أمام الغزو الغربي، ليس كمقولة وطرح نظري فقط، وإنما كحقيقة علمية وعملية مستقاة من المفاهيم الإسلامية القرآنية. ويمكن تلخيص أهم الأفكار والطروحات العملية التي نادى بها وسعى إليها الأفغاني على الشكل الآتي:

أ - إن الوحدة المطروحة بين المسلمين ليست وحدة دينية، والتي تعني أن المطلوب هو اتفاق المسلمين على عقائد ومفاهيم وأحكام واحدة ومشتركة، وإنما المطلوب

(١) وجهة العالم الإسلامي، م.م.، ص ٧٧ بتصرف.

هو الانطلاق من المشتركات الدينية بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة السياسية على الأقل، وكأمة تتعرض للخطر ولا بد من مواجهته، وهذه المواجهة تتطلب الوحدة، وما هو ممكن هو إعلان وتجسيد الوحدة السياسية لأن جميع المسلمين يعتبرون أنفسهم متمين إلى أمة واحدة.

ب - إن الوحدة الإسلامية ليست عصبية دينية تقابل التنور والانفتاح، إذ اعتبر الأفغاني أن الغرب وبالرغم من دعوته للحرية والانفتاح، أو التنديد بالعصبية الدينية المانعة من تواصل الأمم والشعوب، فإن هذا الغرب جسد عملياً حالة عصبية عندما تعاطى مع المسلمين ومع بلادهم في الكثير من الحالات من منطلق صليبي مذهبي ضيق، أي أن الغرب نظر لقضية وعمل على خلافها.

ج - واعتبر الأفغاني أن التعصب الديني أمر مطلوب على خلاف التعصب لأي انتماء آخر، لأن التعصب الديني هو شدة انتماء لرسالة سماوية عالمية، أي إنه تعصب يؤدي إلى الانفتاح وليس ضيق الأفق، على خلاف أي تعصب آخر حيث المطلوب هو الاعتدال

وعدم الإفراط أو التفريط، أما في الديني فلا مانع من الإفراط فيه بمعنى شدة الغيرة على الدين، فالمطلوب هو حس الدفاع عن المعتقدات بحيث لا يتغافل المسلمون عن التحدي الذي يواجهه المعتقد، في حين أنهم يهتمون بما يعني حياتهم وشؤونهم فقط.

د - شدد الأفغاني على حقيقة أن الغرب رأى في المعتقدات الدينية الأساسية للمسلمين عاملاً يكفل تحقيق الوحدة بينهم، لذا عمل على مواجهة هذه المعتقدات في سبيل إضعاف المسلمين، لذا كان طرح السيد الأفغاني لمواجهة هذه الأعمال الخبيثة في نقطتين، الأولى: الدفاع عن المعتقدات، والثانية: تأكيد الوحدة بين المسلمين^(١).

ولقد خرجت مدرسة الأفغاني العديد من النخب والعلماء الذين استمروا على منهجه وطروحاته في سبيل الوحدة الإسلامية ليومنا هذا.

(١) الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، بلال نعيم، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١، ص ٤٠ بتصرف.

أما عن كيفية تطبيق هذه المقترحات وغيرها في
الساحة العملية والاجتماعية، فهذا ما سوف ندرسه في
الفقرة الآتية.

ج - المجتمع الإسلامي الوحدوي

إن مسألة العلاقات الإنسانية بشكل عام هي مسألة تتصل باحترام الإنسان للإنسان، وذلك من خلال الأسلوب الطيب الذي يناقش الآخر بعقلانية وموضوعية، وهذه الفكرة أكدها القرآن الكريم، سواء في تعاملنا مع الآخر في البيت أو السوق أو في المجتمع، فنحن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

والجدال مع الآخر حول بعض المسائل المختلف عليها أو حولها كالدين، أو المذهب، والسياسة، يجب أن يكون ذلك وفق القاعدة القرآنية التي ذكرها المولى في محكم كتابه حيث يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢). فإن الله

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

سبحانه يأمرنا أن نختار الأسلوب الأحسن لكي نقنع الآخر ونرشده، أو على الأقل لا نستجلب نفوره وعداوته^(١). حيث أن الأصل في الإسلام وخاصة لناحية سلوك الإنسان هما (الرفق واللين) كأساس لتعامل الإنسان مع الآخرين في الكلمة أو في العمل، وهذا ما أشار إليه تعالى عندما خاطب رسوله الكريم حول أسلوبه في التعامل مع أصحابه ومع الناس بقوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

والإسلام يقرر أن كل فرد مسؤول عن أعماله وله حقوق، وهو حر في اتخاذ أي قرار في الحياة، وبما أنه حر فهو مالك لنفسه وليس لأحد عليه حق العبودية ما خلا المولى عز وجل. وعلى هذا الأساس شرع الدين أحكاماً خاصة بالفرد ليس للمجتمع فيها دخل، كالعقيدة والإيمان والعبادات وكثير من الأحكام الأخرى، ولكن

(١) للتوسع أنظر: الإسلام دين الرحمة، نجيب نور الدين، المركز الثقافي الإسلامي، بيروت، ط ١، ت ٢٠١١، ص ٤٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

هذه الفكرة الناشئة من حرية كل فرد ومسؤوليته لا تتنافى مع فكرة أخرى مجتمعية الاتجاه يمكن تقريرها على الشكل الآتي: إن الإنسان عبد الله، وأن امتلاكه لنفسه ناشئ من تمليك الله له ذلك، وكما خلق الله هذا الفرد خلق الآخرين، فهم متساوون أمام الله، متكافؤون في الحقوق والواجبات، وكل واحد منهم عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً من دون الله، فليس لأحد أن يطغى على الآخر، أو يستغل حق حريته على حساب الآخرين، وعلى هذا الأساس فلا يصح أن يمحى الفرد حقوق الجماعة، ولا أن تهضم الجماعة حقوق الفرد، لذا فقد صاغ الدين عدة نظم في سبيل ربط الفرد بالجماعة هي على الشكل الآتي:

١ - أن الفرد إنما هو محاط بحلقات متداخلة وهي: عائلته، أسرته، جيرانه، عشيرته، وكل ما يمت إليه بصلة كالصديق والصاحب في السفر.

٢ - ربط الفرد بالجماعة، لذا يرسم واقع العلاقة بينهما في أصل الخلق، فيعتبر أن أفراد المجتمع أخوة،

وعليه يجب أن يقوم البعض بإصلاح البعض الآخر وفق القاعدة القرآنية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١). وتارة يرسم الدين طبيعة علاقة الأفراد في الأمة الإسلامية كأعضاء في جسم واحد، وهو الحديث المتواتر عن النبي ﷺ: «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائرُه بالسهر والحمى»^(٢).

٣ - وأما حق الأمة فيقول: «وحق أهل ملّتك إضمار السلامة لهم، والرحمة لهم، والرفق بسيئهم، وتآلفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الأذى عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك»^(٣).

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلّي، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ج٧١، ص٢٣٤.

(٣) بحار الأنوار، م.ن.، ص٩، وانظر: كلمات في الطريق، مرتضى مطهري، مكتبة فلك، قم، ط١٠، ت ٢٠٠٦، ص١٧٦.

٤ - أما أفضل الناس في المجتمع الإسلامي فهم: التقي العالم، والمجاهد في سبيل الله، والسابق إلى الدين، كما إن أفضل الناس عند الله هو الذي ينفع الناس أكثر من غيره، لقول النبي ﷺ: «خير الناس من انتفع به الناس»^(١).

٥ - ولا بد لكل فرد في المجتمع الإسلامي أن يراقب الأمور العامة ويهتم بها، فإذا وجد فيها فساداً سارع إلى إصلاحه، لقول الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٢).

٦ - أما التمايز الطبقي أو العنصري أو القومي، فإن الإسلام يتبرأ منه، ويتبرأ من كل من ينادي به، ويضع كل تعاليمه على أساس المساواة والعدالة الشاملة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار، م.ن.، ج ٧٢، ص ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، م.ن.، ج ٧١، ص ٣٣٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وهذه الآية المباركة لا تقدم وصية خُلقية وتربوية إلى المسلمين، ولكنها توضح فلسفة تشريعية بنى عليها الدين كل أسسه، وهي تقرر ثلاثة حقائق أساسية في بناء الحقوق الخاصة والعامة وهي:

أ - إن الناس مخلوقون فلا يملكون إلا ما وهب لهم الله تعالى.

ب - إن أصل خلقهم ذكر وأنثى فهم إخوة في الأصل، وما طراً عليهم من الاختلاف فهو عرض يجب ألا يعتني به.

ج - إن هناك شعوباً متميزة وقبائل مختلفة، ولكن كل هذه لا بد أن تستغل في سبيل التعارف والتعاون، فالقوميات لا بد أن تُستغل للصالح العام لا للتباغض والتحارب، وهكذا في الدين أو غير ذلك^(١).

إذن فالعلاقة الروحية بين الله (بتوسط الدين) وبين

(١) للتوسع أنظر: الفكر الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ت ٢٠١١، ص ٣٢٥، وما بعدها بتصرف.

الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان^(١).

وعليه، فالمجتمع الإسلامي مدعو لأن يستعيد تقاليده العليا ومعها حسّ الفاعلية، ومن أجل أن يثبت العالم الإسلامي بمنطق العصر بأن أفكاره صحيحة، من خلال الوحدة وبسط الأمان الاجتماعي على كافة الصعد، وتأمين وسائل الحياة الكريمة لكل أفراد مجتمعاته المتنوعة^(٢).

والنظام الإسلامي بمرحلة معينة مرّ بتجربة من أروع النظم الاجتماعية وأنجحها، حيث أن الدين الحنيف وحدّ بين المقياس الفطري للعمل والحياة، إذ أن المقياس الفطري دعا الإنسان أن يقدم مصالحه الذاتية على مصالح المجتمع ومقومات التماسك فيه، والمقياس الذي ينبغي أن يحكم ويسود هو المقياس الذي تتعادل

(١) ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ت ٢٠٠٦، ط ٦، ص ٥٦.

(٢) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط ٧، ت ٢٠٠٦، ص ١١٣ بتصرف.

في حسابه المصالح كلها، وتتوازن في مفاهيمه القيم الفردية والاجتماعية^(١).

كما أنه في صلب العقيدة الإسلامية إنقاذ الإنسان وخدمة البشرية هما الهدف الغائي للمسلم بموجب صراحة الآية القرآنية التي يخاطب فيها رب العالمين نبيه الكريم ﷺ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢). فهو سبحانه تعالى لا يخصص بهذه الرحمة المسلمين فقط^(٣)، كما أن القرآن الكريم كان ولا يزال يدعونا للحرص على تمتين العلاقات وتماسكها بين المؤمنين أنفسهم حتى لا تنفصم وحدة المجتمع الإسلامي وتعبث فيه الأحقاد، وتفرق المسلمين فيستغل العدو ذلك^(٤). كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي

(١) فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ت ١٩٨٩، ط ١٥، ص ٤١ بتصرف.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٣) الحضارة الإنسانية، محمد علي الشهرستاني، الجامعة العالمية، لندن، ط ١، ت ١٩٩٤، ص ١٢٧.

(٤) صور مشرقة من وحي الإسلام، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت، ط ١، ت ١٩٨٣، ص ١١٩.

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا نَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ
وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(١).

أو كما تواتر عن النبي الأعظم ﷺ : «ولا ترجعوا
بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

وهذا الحديث الشريف شديد الوضوح لجهة تحريم
قتال المسلم لأخيه المسلم واعتبار ذلك من أفعال أهل
الجاهلية والكفر، كذلك حرص النبي ﷺ على وحدة
المسلمين وتعظيم حرمة دمائهم، وحرمة الظلم والعدوان
بين أبناء الأمة الواحدة.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه والبخاري ومعظم كتب المسلمين من
الفريقين.

Σ.

الفصل الثاني

- أ - إطلالة مختصرة على بيروت في التاريخ
- ب - إطلالة مختصرة على الباشورة ومعالمها
- ج - الشخصيات البيروتية ونسبها الشريف

أ - إطلالة مختصرة على بيروت في التاريخ

الحديث عن تاريخ بيروت لهو أمر جليل وكبير، يحتاج الباحث فيه لوقت طويل، بالإضافة إلى الجهد والمشقة للوصول إلى المصادر التاريخية المعتبرة. لكن لله الحمد، فقد كفانا مؤونة هذا البحث والعناء العديد من الأساتذة والمؤرخين، الذين أفردوا العديد من الدراسات التاريخية لمدينة بيروت، لذا بدورنا نقلنا عنهم وباختصار شديد غير مخل، المواضيع والعناوين التي يحتاج إليها بحثنا هذا، وأشرنا إلى المرجع المعتمد في موضعه.

وعليه، فإن معنى كلمة «بيروت» هي شجرة الصنوبر بحسب التعبير الفينيقي، وأرجح الظن أن مدينة بيروت أخذت اسمها من هذه الكلمة بسبب وجودها بجوار غابة الصنوبر (الخرج)، التي ما تزال حيث كانت عند تأسيس المدينة منذ حوالي أربعة آلاف سنة^(١).

(١) بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ت ١٩٩٣، ص ٢٢.

وقالت الأساطير أن ابن ملك (جبيل) أحب امرأة اسمها (بروت) وتزوجها، ولشدة حبه لها بنى مدينة نسبها لاسمها (بيروت)، وما كان من المرأة الملكة هذه إلا أن وهبت مدينتها لإله البحار ليكون بمثابة الحامي لها^(١).

وهنا أسمح لنفسي بالاستطراد قليلاً لأقول: إن كانت بيروت قد حملت اسم معشوقة ابن ملك جبيل، فأنا الآتي من بلاد جبيل حيث مسقط رأسي أكتب أيضاً عن حبيبي بيروت، وإذا كانت هذه الأسطورة فيها شيء من الصحة، فأنا من أحفاد وذراري هذه الأسطورة الجميلة.

وبالعودة إلى سياق البحث، فإن بيروت واحدة من أقدم مدن العالم، نشأت منذ الألف السابع قبل الميلاد على شكل قرية صغيرة على شاطئ البحر المتوسط، وظهرت كلمة (بيروت) في الكتابة الهيروغليفية المصرية منقوشة على ألواح من الحجر في عهد الأسرة الفرعونية

(١) الحنين إلى بيروت، حسان حلاق، دار المؤلف، بيروت، ط ٢، ت ٢٠١٦، ج ٢، ص ٥.

الثامنة عشر، وبيروت هي المدينة العتيقة لفنيقة التي كانت تسمى (بريتوس) ومعناها شجرة الصنوبر، ويقول مؤرخ يوناني أن اسم بيروت مشتق من اسم (بيريت) أي الآبار، وذلك لكثرة وجود الآبار والينابيع في بيروت قديماً^(١).

وقد سجل التاريخ على مشارف بيروت، فتحاً مصرياً فرعونياً، واستبداداً آشورياً، وانتقاماً بابلياً، فاحتلالاً فارسياً ثم سيطرة يونانية وبعدها رومانية، هذا قبل الميلاد، أما بعده فقد عرفت التمدد البيزنطي والفتوحات العربية الإسلامية، والغزو الصليبي، والهيمنة العثمانية الطويلة، والانتداب الفرنسي أخيراً.

هذه هي المحطات التي شهدتها عبر زمانها المتأرجح بين الاضطراب والاستقرار^(٢).

وفي عهد السلطنة العثمانية بدأت الملامح العمرانية

(١) قبضيات بيروت، عبد الرحمن محمد السماك، الدار العربية للعلوم، بيروت، ت ٢٠١٥، ط ١، ص ١٥.

(٢) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢٠، ص ٦.

بالظهور، حيث عملت هذه السلطنة على تطويرها وتوسيع مينائها، وإقامة المنشآت الحيوية والصناعية في أرجائها، ثم رصفوا شوارعها، ووسعوا ممراتها المائية النهرية والبحرية، وشيدوا أسوارها الشاهقة، وأبراجها العالية، وبذلك تحولت بيروت خلال حكم العثمانيين من حصن بسيط متواضع، إلى مدينة كبيرة كان لها شأن عظيم ومكانة خاصة لدى سلطات الباب العالي، وفي كافة أرجاء الدولة العثمانية، وقد حملت المدينة خلال حكمهم لها عدة أسماء توحى بأهميتها السياسية والاقتصادية، مثل: (درة آل عثمان)، و(زهرة سوريا)، و(نواره الشرق)^(١).

وكانت أبواب مدينة بيروت مفتوحة أمام الوافدين إليها من مختلف أنحاء الدول العربية والإسلامية، والتي امتدت شرقاً إلى حدود الصين، وغرباً لتصل حدود فرنسا وإسبانيا أي الأندلس. وبقيت هذه الأبواب تستقبل

(١) بيروت وعائلاتها السبعة، يوسف بن أحمد الحسيني، دار الرايات، عمان، ط ٣٠، ت ٢٠٠٣، ص ٨.

الوافدين مع الدولة العثمانية طوال أربعة قرون متتالية، فكانت الأسر البيروتية تختلط دائماً بالقدامين من مختلف هذه البلاد، على اعتبار أن بيروت كانت من أهم الشغور المرابطة على ساحل الشام^(١).

وعندما كان يقال بيروت في العهد العثماني، كان يقصد بذلك بيروت الصغيرة داخل سورها ذو ثمانية أبواب، أما باقي المناطق كالبسطة، والمصيطة، وبرج أبي حيدر، وزقاق البلاط، والقنطاري، والباشورة، والنويري، والأشرفية وسواها كانت تعتبر هذه المناطق من ضواحي بيروت. وكانت تتميز بكثرة مزارعها وأشجارها لا سيما التوت الذي ارتبطت زراعته بإنتاج الحرير.

وكانت بيروت طوال المراحل المختلفة التي مرّت عليها تمتاز ولا تزال، بالمناسبات الاجتماعية والدينية الجامعة لكل أبنائها من كافة الملل والنحل، لا سيما في

(١) جامعة آل شبارو، عصام محمد شبارو، دار مصباح الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٢٦، ص ١١.

المناسبات الشعبية، حيث أن جميع سكان بيروت على اختلاف طوائفهم يشتركون بها، فإذا كانت المناسبة للمسلمين خرج المسيحيون معهم، وإن كانت للمسيحيين خرج المسلمون معهم.

وفي أحضان الطبيعة ترتفع كل الفواصل والحدود، ويتحدث الناس بكل ما عندهم وما عند غيرهم، ومن هنا جاء المثل الشائع (نشروه على صنوبر بيروت)، لأن الفضايح كانت تذاع تحت ظلال الصنوبر، في أيام الأعياد والعطل والمناسبات الشعبية^(١).

أما عن تواجد المسلمين الشيعة الإمامية في بيروت، فيقول المؤرخ حسن الأمين: أشار ناصر خسرو في رحلته المعروفة (سفرنامه)، التي كانت في أوائل القرن الخامس إلى الأكثرية الشيعية في كل من طرابلس وصيدا وصور، ولم يتكلم عن بيروت، ولكن يمكننا أن نستنتج أن العوامل التي أثرت في انتشار التشيع في بقية مدن

(١) قضايا بيروت، م.م.، ص ١٥. وانظر: الحنين إلى بيروت، م.م.، ص ١١.

الساحل قد أثرت في انتشاره في بيروت، وأن العوامل التي أثرت بعد ذلك في تقلصه في غيرها أثرت كذلك فيها، لا سيما في عهد المماليك وصولاً إلى نهاية السلطنة أو الدولة العثمانية.

وجاء وقت فقد فيه التشيع في بيروت، إلى أن بدأت وفود الشيعة تصل إليها ويقيمون فيها قبل الحرب العالمية الأولى، ثم كثر عددهم وملكوا المتاجر والحوانيت، ثم أصبحوا بعد الحرب العالمية الثانية يؤلفون جمهوراً كبيراً فيها.

ثم أقبل إليها الوافدون من المهاجر الإفريقية بثرواتهم، فشادوا فيها الأبنية الفخمة وساهموا في نهضتها الحديثة، وأصبح الشيعة في بيروت يؤلفون عدداً له شأن كبير في كيان المدينة وحياتها^(١).

وهذه الوحدة الاجتماعية تجلت في الإحصائيات الرسمية التي أجريت على مراحل متعددة، والتي تظهر

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، دار المعارف، بيروت، الطبعة ٦، ت ٢٠٠٢، ج ٨، ص ٤٩٤ وما بعدها بتصرف.

طبيعة التناغم الاجتماعي في بيروت، نذكر منها ما جاء في مجلة (المعارف) في عددها الصادر في أيار عام ١٩٢٢م في المجلد الخامس، من أن بلدية بيروت يحدها شرقاً نهر بيروت وجنوباً الحدود القديمة بين بيروت ولبنان القديم، بخط يمتد شمالي فرن الشباك إلى البحر، أما عدد سكانها فبلغ ٧٧٨٢٠ نسمة منهم: ١٧٧٦٣ موارنة، ٣٢٨٨٢ سنة، ٣٢٧٤ شيعة، ١٢٦٧٢ أرثوذكس، ١٥٢٢ دروز، ٤٢٥١ كاثوليك، ٦٤٢ بروتستانت، ٤٩٠٧ طوائف متفرقة.

وتقريباً نفس الإحصاء ذكرته مجلة (العرفان) الصادرة في صيدا لصاحبها ومؤسسها الشيخ أحمد عارف الزين، وذلك في آذار من العام ١٩٢٢.

وفي جريدة (الفوائد) في عددها الصادر في شهر شباط ١٩٣٢م قالت: انتهت محافظة بيروت من جمع جداول الإحصاء في مناطق العاصمة، وقد بلغ عدد سكان المدينة كما يلي: ٥١٩٠٦ سنة، ١١٣٧٩ شيعة، ١٢٣٥ دروز، ٢٨٩٩٠ موارنة، ٨٣٤٧ كاثوليك، ١٩٤٣

بروتستانت ٣٦٨٤ أرمن، ١٧٤ سريان أرثوذكس، ٢١٦ سريان كاثوليك ٥٨٥٠ لاجئون بلا جنسية^(١).

ومهما يكن الأمر، فإن هذه الإحصاءات وغيرها تؤكد على طبيعة هوية هذه المدينة التي احتوت في حناياها، وشوارعها، وأزقتها ذلك النسيج الإنساني المتنوع من أديان وطوائف ومذاهب متعددة، ولهذا السبب كانت ولا تزال بيروت الحضن الحنون لجميع أبناء الجمهورية اللبنانية.

(١) بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.م.، ص ٣٩ وما بعدها.

ب - إطلالة مختصرة على الباشورة ومعالمها

تاريخياً كانت سلسلة الهضاب الوسطى في بيروت تتألف من زقاق البلاط، وحوض الولاية، والبسطة، والمصيطبة، والباشورة التي كانت ملحقة بالبسطة التحتا^(١).

وعن البسطة بقسميها (الفوقا والتحتا) يقول الدكتور حلاق: تقع البسطة الفوقا والبسطة التحتا جنوب مدينة بيروت القديمة، يصعد إليها من باب السور مروراً بمنطقة الباشورة، توطنت فيها بعض العائلات البيروتية التي كانت تبحث في القرن التاسع عشر عن أراض وعقارات أرخص ثمناً مما هي عليه الأسعار في باطن بيروت (داخل السور).

(١) قباضيات بيروت، م.م.، ص ٢٦، وانظر: بيروت وعائلتها السبعة، م.م.، ص ١٦٠.

ويقول المحامي (عمر زين) الأمين المساعد لاتحاد المحامين العرب، أن أحد أهم ميزات النسيج الاجتماعي للبسطة ومنذ مطلع الأربعينات، أنه يجمع أكبر عدد من الطوائف المختلفة بين أبنائها، فاعتباراً من العام ١٩٤٠ أتى الناس من الجنوب ضيعة بعد ضيعة ليستقروا في البسطة. لكن استقطاب البسطة لأبناء العديد من القرى، لم يكن وليد مكانتها التجارية آنذاك، بل أيضاً بسبب قيام عدد من أبناء المنطقة وعن طريق المصاهرات باستضافة أبناء القرى في الجنوب والبقاع^(١).

في حين يقول الشيخ طه الولي: وقد أطلقت كلمة الباشورة على مقبرة البسطة التحتا في بيروت لوقوع هذه المقبرة في الماضي عند ظاهر السور الذي كان يحيط بالمدينة^(٢).

وعليه، فإن الباشورة هي منطقة سكنية من مناطق بيروت، وهي تقع على تل تطل على البحر، وقيل إنها

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج١، ص٢٦٢، وما بعدها.

(٢) بيروت في التاريخ والحضارة العمران، م.م.، ص١٨٣، بتصرف.

قديمة ترجع إلى العصر العباسي أيام المنصور الدوانيقي، وقد اشتهرت بوجود المقبرة الإسلامية فيها، والتي يفصل السور بينها وبين بيروت القديمة.

والباشورة يقال عن اسمها إنه يعود إلى مصطلحات عسكرية استخدمها المماليك قديماً، ذلك لأن الباشورة تجمع بواشير، وهي كناية عن سدود رملية كانت تقام لمنع وصول الخيل أو السهام، وكان أبناء بيروت من أهل الماضي يسمون هذه المقبرة (مقبرة سيدنا عمر)، كما قال الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر»^(١). وتعني الباشوراء لغة السد الترابي أي سد من التراب، وهو نوع من السدود الترابية التي كانت تقام قديماً حول بيروت لحمايتها من الأخطار الخارجية، ومنع تقدم أي عدوان عليها، لذا تعد منطقة الباشورة في بيروت من أعرق الأحياء السكنية والتاريخية، ولكونها تضم واحدة من أقدم المقابر

(١) بيروت في التاريخ، م.ن.، ص ١٨٣، وانظر: الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ١، ص ٢١٨.

الإسلامية (جبانة الباشورة)، والتي أحيطت بسور عام ١٨٩٢م^(١).

ومن أقدم ما يروى عن هذه المقبرة، أنها كانت موجودة في أيام إمام أهل الشام في زمانه (الإمام الأوزاعي)، فقد ذكر الذين ترجموا سيرة هذا العالم: أنه حينما قدم إلى بيروت في أواسط القرن الثاني الهجري وأصبح قريباً من مدخلها الجنوبي، لقي في طريقه امرأة كبيرة في السن، فأراد أن يختبر فيها روح أهل المدينة التي اختار الإقامة بينهم، فسألها: أين المدينة يا أختاه، فأجابته العجوز: إن كنت تريد العمار فها هو، وأشارت بيدها إلى القبور في (الباشورة)، وإن كنت تريد الخراب فها هو، وأشارت إلى حيث المساكن والسكان. فانشرح صدر الشيخ الأوزاعي لما سمع هذا الجواب، وعلم أنه في بلد يطمئن قلبه إلى دين سكانه^(٢).

وهذه الجبانة الواقعة (قبلي) بيروت القديمة، كانت

(١) أنظر موقع ويكيبيديا، تاريخ منطقة الباشورة.

(٢) بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.م.، ص ١٨٤.

من دون سور يحميها، إلى أن أحيطت بسور قرابة عام ١٨٩٢م، وقد سعى ببنائه الشيخ عبد الرحمن الحوت نقيب السادة الأشراف، للمحافظة على حرمة قبور المسلمين^(١).

وأوضحت جبانة الباشورة مدافن لعموم عائلات بيروت بعدما بناها العثمانيون، ولاحقاً أدارتها جمعية المقاصد الخيرية، ومن المعلوم أن هذه المقبرة تضم رفات العديد من الأعلام من زمن الدولة العثمانية، وأبرزهم قبر والي سوريا أحمد حمدي باشا، الذي يقع بجانب سور المقبرة، ويعتبر هذا القبر من الآثار المهمة من العهد العثماني.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول حول منطقة الباشورة، فنقول:

أ - أصل تسميتها يعود بحسب المصادر إلى مصطلحات عسكرية مملوكية تعني سدوداً رملية أي (بواشير).

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ١، ص ٢١٨.

ب - تقع الباشورة جنوب سور بيروت القديم، وتحد الوسط التاريخي للعاصمة بيروت.

ج - تعتبر مقبرة الباشورة من أهم المعالم فيها والتي كانت تعرف قديماً بمقبرة عمر، وتفصل بين بيروت القديمة والمنطقة الجنوبية، وتم تسويرها عام ١٨٩٢م بمسعى من الشيخ عبد الرحمن الحوت نقيب الأشراف آنذاك.

د - وكان يوجد إلى جانب المقبرة برج حراسة عثماني قديم، وأصبح يطلق عليه لاحقاً برج العريس وهو معروف بالمنطقة لوقتنا هذا.

هـ - وخلال فترة الانتداب الفرنسي من عام ١٩٢٣ حتى ١٩٤٣م، تحولت المنطقة إلى حي سكني توسعي، حيث شهد بناء المستشفى الفرنسي، والكلية الوطنية، وبعض الفنادق، مما زاد من أهميتها الاجتماعية والمكانية في بيروت.

و - كان الطابع الاجتماعي للباشورة ولا يزال مزيجاً من أبناء هذا البلد (لبنان)، ومن مختلف طوائفه ومذاهبه

يعيشون بشكل متناغم ومتآلف، ويحافظون على نسيج مجتمعهم القديم وعاداته وتقاليده، لا سيما في الإطار الإسلامي المشترك.

ز - هذا بالإضافة إلى وجود ضريح شريف يضم رفات العديد من الأشراف لم نجد له ذكراً عند معظم الذين أرخوا لبيروت ومناطقها ومقابرها وتحديداً الباشورة!

وهذا ما سوف نتحدث عنه بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة، وذلك بعدما نتعرف على أصول بعض الأسر البيروتية العريقة، والتي تتصل بنسبها الشريف إلى النبي ﷺ على حسب ما ذكره بعض النسابة والمؤرخين.

ج - الشخصيات البيروتية ونسبها الشريف

إن الحديث عن أصول العائلات البيروتية العريقة وتاريخ استقرارها في بيروت، لهو أمر عسير، لقلة المصادر المتعلقة بهذه الأسر الكريمة، فعند الفتح الإسلامي لبيروت عام ٦٣٥م، لم تعرف هذه المدينة عائلات خاصة بها ومحددة تاريخياً استقرت بها واستمر وجودها فيها ليومنا هذا. لأن الحقيقة التاريخية، إن الوضع الجغرافي والاستراتيجي لهذه المدينة الساحلية، جعلاً منها بمثابة الخط الدفاعي الأول عن (دمشق)، فأخذ العرب يرابطون فيها مع غيرها من المدن الساحلية اللبنانية، دفاعاً عن الدولة الإسلامية، وهذا ما جعلها قبلة أنظار الصحابة والتابعين، والعلماء والمحدثين، والأمراء والجند، وكان معظم هؤلاء يقضون فترات قصيرة ثم يعودون إلى مواطنهم الأصلية، وكانت قلة منهم تبقى في بيروت. ورغم ذلك كله، فإن ما يمكننا

الوثوق به، هو أسماء عائلات بيروت التي ظهرت في أقدم سجل مكتوب وموجود اليوم في المحكمة الشرعية في بيروت، وهذا السجل لا يعود تاريخه إلى ما قبل عام ١٨٤٣م، عندما كان الشيخ محمد الحلواني مفتياً لبيروت^(١).

وعلى هذا الأساس، فإن أقدم أسماء عائلات بيروت حسب سجلات المحكمة الشرعية التي تعود إلى سنة ١٨٤٣م، أي قبل ٧٥ سنة من نهاية الحكمة العثماني، وما لبثت حتى اتخذت صيغتها النهائية في التداول مع إحصاء السكان عام ١٩٣٢م في زمن الانتداب الفرنسي، وهذا الإحصاء غفل عن العديد من سكان بيروت لأسباب مختلفة ومبهمّة تحدث عن ذلك العديد من المؤرخين.

لذلك، فإن هوية بيروت لا تعرف الحدود المغلقة، حيث شكّلت حركة النزوح إليها من كافة المناطق اللبنانية، والتي استقرت بها، فأضافت بذلك عائلات بيروتية جديدة تضاف إلى عائلات بيروت الأعرق منها،

(١) جامعة آل شبارو، م.م.، ص ١٣، وما بعدها بتصرف.

حتى تحولت بيروت إلى رمز للوحدة الوطنية، حيث تضم جميع الطوائف والمذاهب^(١).

وقبل الشروع في الحديث عن هذه العائلات الكريمة ونسبها الشريف، وأيضاً عن بعض أبرز أفرادها، لا بد من الإشارة إلى أن مسألة تتبع النسب أمر في غاية الصعوبة، بالإضافة إلى ضرورة الحصول على مشجرات الأنساب والتدقيق فيها، وهذا علم يرجع فيه لأهله لأنه خارج تخصصنا، ولعدم حاجة بحثنا للتعمق بشكل أكبر مما سوف يمر معنا، لذلك سوف نشير إلى المراجع حول هذه المواضيع في الهامش لمن أراد التوسع حول هذا الموضوع.

١ - آل عيتاني: وهي أسرة إسلامية سنية المذهب وبيروتية عريقة، وهم من عائلات بيروت السبعة^(٢)، وهذه الأسرة تنحدر من جذور قبيلة (النقارسة) البربرية

(١) للتوسع: أنظر: جامعة آل شبارو، م.م.، ص ١٩، وما بعدها.

(٢) وهي: آل سنو، وآل منيمنة، وآل عيتاني، وآل كريدية، وآل دوغان، وآل داعوق، وآل حوري.

المغاربة. كانوا قد دخلوا الأندلس مع الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٧ هجرية. وبعد سقوط تلك الديار بأيدي الأسبان انسحب ما بقي منهم إلى شمال سواحل أفريقيا، في حين كان البعض منهم قد نزح سابقاً قبل سقوط الأندلس إلى بيروت عام ١٣١٠م^(١).

وقال المؤرخ طه الولي: إن بعض العائلات الإسلامية التي تقطن في شارع الحمرا والمناطق المجاورة له، هم من بقايا قبائل بني الحمرا أنفسهم، ومنهم عائلات آل العيتاني، وآل الداعوق، وآل اللبان، وآل شاتيل، وآل سمراني وأنسابهم^(٢).

ويعتبر (آل الحص) فرع من عائلة عيتاني، كما الحال بالنسبة لأسرة (بيهم) العيتانية.

وكان أهل بيروت يطلقون على آل العيتاني لقب (السادات)، وما يزال اسم السادات يطلق على أحد

(١) قباضيات بيروت، م.م.، ص ١٤٣. وانظر أيضاً: بيروت وعائلاتهما، م.م.، ص ٨٣، وأيضاً: جامعة آل شبارو، م.م.، ص ١٦.

(٢) تاريخ بيروت، م.م.، ص ٤٧.

الشوارع الأساسية في محلة الحمرا برأس بيروت، وذلك لأن هذه الأسرة (عيتاني) ترجع بنسبها إلى آل البيت الطالبية^(١).

ويقول الدكتور كمال الحوت: آل العيتاني أسرة بيروتية موطناً، مغربية الأصل، ويذكرون انتسابهم إلى الإمام الحسن رضي الله عنه، كما أن آل الحص هم فرع من آل عيتاني الحسينيين^(٢).

وأبرز أعلام آل العيتاني (الحص) و(بيهم):

أ - حسين بن ناصر بن محيي الدين العيتاني، الذي كان ورعاً كريماً يكثر من الإحسان وأعمال الخير إلى فقراء بيروت، وقد وصلت أعماله الخيرة إلى خارج بيروت حتى صار يلقب بأبي الفقراء، وكان الناس يشيرون إليه قائلين (هذا بيهم) أي والد الفقراء، ويبدو أن هذا اللقب انسحب على أبنائه وأحفاده، فتكونت بذلك

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٢) جامع الدرر البهية، كمال الحوت، دار المشاريع، بيروت، ط ٢، ت ٢٠٠٦، ص ٧٤ و ص ١٠١.

عائلة جديدة باسم (بيهم) منبثقة من أسرة العيتاني^(١).

ب - وبما أن (آل الحص) هم فرع آل عيتاني، فقد برز منهم المرحوم الدكتور سليم الحص الذي ترأس مجلس الوزراء بعد أن كان نائباً لحاكم مصرف لبنان، وكانت له نشاطات اقتصادية واجتماعية ووحدية وسياسية عروبية^(٢).

٢ - آل شاتيل: وهي من الأسر الإسلامية البيروتية العريقة، سنية المذهب من قبائل وادي التيم، وتشير بعض المصادر أن جذور الأسرة تعود بنسبها إلى النبي ﷺ عن طريق الإمام الحسين بن علي ﷺ^(٣).

وقد برز من هذه الأسرة الكريمة السياسي المعروف المرحوم كمال شاتيل.

-
- (١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ٢٣٣.
 (٢) الحنين إلى بيروت، م.ن.، ج ٢، ص ٢٣٣، وانظر: الدرر البهية، م.م.، ص ٢٤.
 (٣) بيروت وعائلاتهما، م.م.، ص ٦٩. وانظر: قباضيات بيروت، م.م.، ص ١٣٦. وانظر: الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ٢٢٠، وانظر: جامعة آل شبارو، م.م.، ص ١٧.

٣ - الرفاعي: وهي من الأسر الإسلامية البيروتية، ولها انتشار واسع في العالم العربي ومصر وبلاد الشام والعراق. وآل الرفاعي أسرة تنسب بدورها إلى الأشراف من آل البيت عليه السلام، لهذا تولى الكثير منهم نقابة الأشراف في لبنان والعالم العربي، وبرز منهم الكثير في ميادين العلم والتجارة والصناعة والسياسة، كان من أبرزهم المرحوم النائب السابق حسن الرفاعي^(١).

٤ - آل الشعار - الحسامي - الجبيلي، من الأسر الإسلامية والبيروتية والجبيلية والطرابلسية والعكاوية، واللبنانية والسورية وحتى العربية، تعود بجذورها إلى مدينة جبيل على الساحل اللبناني، والأسرة منسوبة للنبي ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

كان الناس يكرمون هذه الأسرة لنسبها الشريف وخاصة بالمناسبات والأعياد، ومن العادات المتبعة حتى اليوم تكريماً لأبناء العائلة، تسليم إدارة الأوقاف الإسلامية باستمرار لفرد من آل الحسامي في مدينة جبيل.

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ٢٢٤.

ونظراً لقدم العائلة وتميزها، فقد انقسمت إلى عدة عائلات، فمن آل الشعار برزت العائلات: الحسامي، الجبيلي، النقاش، بكداش، التوتنجي، درويش، اللادقاني، وسواها من عائلات جبيلية وبيروتية^(١).

٥ - آل الحوت: وعائلة الحوت من الأسر البيروتية القديمة ويرجع نسبها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وبرز من هذه الأسرة الكريمة العديد من العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ محمد الحوت الكبير شيخ مشايخ بيروت، ونقيب الأشراف في بيروت الشيخ عبد الرحمن الحوت^(٢).

٦ - آل حمود: وهي أسرة إسلامية ذات أصول

(١) الحنين إلى بيروت، م.ن.، ج ٢، ص ٢١٥. وانظر: بيروت وعائلاتهما، م.م.، ص ٧٢.

(٢) شيخ بيروت محمد الحوت، محمود سليم الحوت، دار النهار، بيروت، ط ١، ت ١٩٩٤، ١٠٣. وانظر: الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ٢٢٣. وانظر: بيروت في التاريخ، م.م.، ص ٢٨٧. وانظر: جامع الدرر البهية، م.م.، ص ٢٢٤. وانظر: بيروت وعائلاتهما، ص ٤٢. وانظر: جامعة آل شبارو، م.م.، ج ١٧.

مغربية، وتتميز بشكل خاص لجهة وضوح نسبها الشريف وبأنها تتصل بالإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وسنفرد لهذه الأسرة مساحة واسعة في الفصل الثالث، لارتباط هذه الأسرة الكريمة بموضوع بحثنا هذا.

الفصل الثالث

- أ - الأدارسة ومقبرة الباشورة
- ب - حمود وذريته
- ج - كلمة أخيرة مع توصية

۷۰

أ - الأدارسة ومقبرة الباشورة

عند الدخول إلى مقبرة الباشورة من الباب الرئيسي المقابل لمبنى إطفائية بيروت، بعد سلوك الممشى لجهة الشمال بمسافة مئة متر تقريباً، وعلى جهة اليمين تحت شجرة كبيرة يوجد قبر أثري قديم يكاد يتداعى، نقش عليه العبارات التالية: «روضة تضم رفات أسباط علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام وأعقاب أمير المؤمنين علي بن حمود الناصر لدين الله الإدريسي الحسني».

السؤال هنا: ما معنى الإدريسي؟ ومن هو علي بن حمود؟

الإدريسي نسبة لإدريس الثاني ابن إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

إدريس بن عبد الله المحض أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر ابن خالد بن العاص بن

هشام بن المغيرة المخزومي . وقد كانت شهادته مسموماً على يد سليمان بن جرير الجذري بأمر من هارون الرشيد، ودفن حيث هو الآن في زرهون بمنطقة مكناس المغربية، وبعدما كان قد استطاع إدريس الإفلات من واقعة فخ والهرب باتجاه مصر لمدة وبعدها دخل المغرب العربي ناحية فاس وطنجة، استجابت له القبائل وبايعوه على السمع والطاعة، مما أتاح له تأسيس قاعدة اجتماعية وعسكرية في المنطقة شكلت نواة الدولة الإدريسية لاحقاً^(١).

وكان إدريس بن عبد الله المحض قد تزوج بامرأة من القبائل الأمازيغية تدعى كنزة، وكانت حامل قبل استشهاده، فلما وضعت حملها وكان ذكراً، أسمته إدريس على اسم والده، وعرف لاحقاً باسم إدريس الثاني . وبهذا يكون قد انحصر عقب إدريس بن عبد الله بولده إدريس الثاني^(٢).

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، منشورات الفجر، بيروت، ط ١، ص ٢٩٣، بتصرف.

(٢) مصر وآل البيت، أحمد محمد قيس، دار الملاك، بيروت، ط ١، ت ٢٠١٩، ص ٣٠٥.

وكان إدريس بن إدريس لما مات أبوه حملاً، وأمه أم ولد بربرية، ولما مات إدريس بن عبد الله المحض مسموماً، وضعت المغاربة التاج على بطن جاريته أم إدريس، فولدته بعد أربعة أشهر، ونشأ وتربى في كنف والدته في حراسة القبائل وتحت إشراف مولى والده راشد.

أما عن صفاته الخلقية والعلمية بعد نضوجه، فقد كان فصيحاً بليغاً، أديباً، عالماً بكتاب الله تعالى، قائماً بحدوده، راوياً لحديث النبي ﷺ، عارفاً بالفقه والسنة، مميزاً بين الحلال والحرام، مدققاً في فصول الأحكام. وقد عرف بورعه وتقواه، وجوده وكرمه، وعزمه وبسالته، وشجاعته وعقله الراجح، وثباته في الملمات.

وقد تسلم مقاليد الحكم بنفسه عندما بلغ سن الرشد، وأثبت كفاءة عالية في إدارة شؤون البلاد وثبتت أركان الدولة، ونجح في توحيد القبائل المغربية تحت راية الإسلام والدولة الإدريسية، كما ساهم بشكل كبير في نشر التعاليم الإسلامية في مناطق المغرب العربي، وزاد عن تلك المناطق التي افتتحها والده إدريس بن عبد الله،

فتقدم نحو الأطلس الكبير، واستولى على مدينتي نفيس وأغمات، وأقام نفوذ الدولة في بلاد مصامدة في الجنوب. وعلى هذا تكون الدولة الإدريسية قد توسعت على يد إدريس الثاني أقصى اتساع لها، وقد شهدت فترة حكمه بالأمن والاستقرار، وانتشار المفاهيم الإسلامية، والتعليم، والعدل.

وقد توفي إدريس الثاني مسموماً كوالده في العام ٨٢٨م، وكان له من العمر الشريف ست وثلاثون سنة، ودفن في مدينة فاس المغربية حيث ضريحه الشريف حالياً.

وقال عنه داود بن القاسم الجعفري: وكنت في المغرب، فما رأيت أشجع منه، ولا أحسن وجهاً. ويكفيه فخراً أن الإمام علي بن موسى (الرضا) قال في حقّه: إدريس بن إدريس بن عبد الله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله^(١).

(١) عمدة الطالب، ابن عنبه، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ت٢٠١٥، ص٢٠٠ وما بعدها بتصرف.

وأعقب إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض من ثمانية رجال: القاسم، وعيسى، وعمر، وداود، ويحيى، وعبد الله، وحمزة، وعلي. وقيل إنه أعقب من غير هؤلاء أيضاً^(١).

نشير إلى أننا لن نستعرض ذرية إدريس الثاني من كافة أولاده، بل سنكتفي استعراض ذرية عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض.

ولقد أعقب إدريس بن إدريس بمدينة الزيتون في المغرب، ومن ولده: عيسى بن عمر بن إدريس، وهو الذي بنى جبل الكوكب. (مدينة في المغرب).

حمود، واسمه أحمد بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الثاني^(٢)، وهو الذي سوف نتحدث عنه في الفقرة التالية بإذن الله بشيء من التفصيل.

أما عن سبب ارتباط ذرية إدريس الثاني من حفيده حمود بمقبرة الباشورة في بيروت، فيعود إلى سبب وجود

(١) عمدة الطالب، م.ن.، ص ٢٠٢.

(٢) عمدة الطالب، م.م.، ص ٢٠٢.

نقش على الضريح الخلفي للقبر يقول: «يضم هذا المدفن رفات المغفور لهم السادات آل حمود الأدارسة الحسينين»، ويعود أقدم تاريخ على الضريح الشريف إلى عام ١٣٠٥ هجري، أي إلى تاريخ العام ١٨٨٣ ميلادي. وسنذكر في الفقرة التالية سبب توثيقنا لهذه التواريخ.

ب - حمود وذريته

يعتبر حمود الجد الثالث للدولة الإدريسية، وذلك بسبب الدور المهم الذي قام به ولده علي الملقب (بالناصر لدين الله)، فمنذ هذه الفترة التي ظهر فيها علي بن حمود أصبح الأدارسة يعرفون بآل حمود الأدارسة، وذلك منذ العام ١٠١٦ حتى يومنا هذا.

وحمود كانت ذريته من رجلين: القاسم الملقب بالمأمون، وعلي الملقب بالناصر لدين الله، وعلي هذا كان أول حكام الأندلس من بني حمود الأدارسة الحسينيين العلويين، والذي استولى على حكم الأندلس بعد ثورته على سليمان الملقب بالمستعين بالله من ذرية بني مروان الأموية، وكان علي الناصر لدين الله في بداية عمره قائداً قوياً ووالياً على مدينة (سبته) في الأندلس قديماً، وإسبانيا حالياً، وذلك في عهد الخليفة الأموي المستعين بالله، واستولى على مدينة قرطبة العاصمة

الأندلسية عام ١٠١٦م واستمرت فترة حكمه ما يقارب السنتين حتى ١٠١٨م. وفي مدة حكمه اعتبره أهل قرطبة حاكماً عادلاً، حيث أقام الحدود بنفسه، ونشر الأمن، وألغى المظالم.

لاحقاً انقلب عليه بعض الموالي الذين ساندوه في البداية بسبب صرامته وورعه، وتآمروا عليه وقتلوه غيلة، وتولى الحكم من بعده ابنه يحيى الملقب بالمعتلي بالله.

لذلك يعد علي بن حمود أول من كسر هيمنة الأمويين على خلافة الأندلس، والمؤسس الأول لدولة بني حمود الإدريسية^(١).

وعليه، فإنه منذ اغتيال علي الناصر لدين الله، أصبحت ذريته تعرف ببني حمود ليومنا هذا.

وتحت عنوان (الجذور المغربية والشامية للعائلات البيروتية) يقول الدكتور حلاق: إن الهجرة المغربية والأندلسية إلى بلاد الشام ومن بينها بيروت، ابتدأت بعد

(١) عمدة الطالب، م.م.، ص ٢٠٣ بتصرف.

سقوط الأندلس العام ١٤٩٢م، وهذه الهجرة قد تزايدت بعد هذا الحدث إلى مصر وبلاد الشام^(١).

أما الدكتور شبارو عند حديثه عن عدم ورود أسماء عائلات بيروتية عريقة في سجلات المحكمة الشرعية يقول: إن عائلات كثيرة تعود بانتمائها البيروتي العريق إلى مرحلة أقدم من تاريخ هذه السجلات بقرن أو قرنين أو قرون عديدة، على غرار آل شبارو، وآل عيتاني، (وآل حمود)، وآل شاتيللا وآل دندن، وآل فاخوري وغيرهم، وهذا يعني أن أسماء عائلات بيروت التي وردت في سجلات المحكمة الشرعية، لا تشمل جميع أسماء عائلات بيروت التي كانت موجودة في تلك الفترة^(٢).

يقول الدكتور يوسف الحسيني: آل حمود أسرة إسلامية سنية صيداوية من جذور مغاربية بربرية، نزح منهم إلى بيروت سنة ١٩٠٥م^(٣).

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) جامعة آل شبارو، م.م.، ص ١٧.

(٣) بيروت وعائلاتهما، م.م.، ص ٤٧.

ووافقه على ذلك الدكتور السّمّاك، ونقل بالحرف المضمون نفسه^(١).

أما الدكتور كمال الحوت رئيس جمعية السادة الأشراف في لبنان، فيقول: آل حمود أسرة لها انتشار في بيروت وصيدا، وأصلها مغربي، يعود نسبها إلى جد الحموديين السيد حمود، أي أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الثاني ابن مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام، وقد تولى منهم جماعة نقابة الأشراف في صيدا لبعض الوقت^(٢).

وحول الموجات المغربية والأندلسية التي جاءت إلى بيروت، يقول الدكتور حلاق: من بين تلك الأسر والقبائل المغربية ذات الأصول العربية والتي توطنت في بيروت على سبيل المثال لا الحصر: الأبيض، إدريس، برغوت، بكداش، بيضون، (حمود)...^(٣).

(١) قبضيات بيروت، م.م.، ص ١٢٤.

(٢) الدرر البهية، م.م.، ص ٧٥.

(٣) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ١٩٢ بتصرف.

وكان قد قام الدكتور حلاق بوضع جدول بأسماء العائلات البيروتية العريقة من المسلمين والمسيحيين، وذكر آل حمود معهم^(١).

بناء على كل ما تقدم، فقد تبين معنا أن آل حمود من الأسر العريقة جداً في بيروت، وهي ذات أصول مغربية، ومن سلالة حمود وحفيد عمر بن إدريس لثاني ابن إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعراقة هذه الأسرة البيروتية لا مجال للتكرار لها، ونسبهم الشريف الواضح المتصل بالنبي ﷺ لا غبار عليه، وهنا لا بد من طرح بعض الأسئلة التي سوف نترك الأيام تجيبنا عنها من خلال أهل العلم والمعرفة الموضوعية، وهي:

أ - كيف لهذه الأسرة العريقة في بيروت ذات النسب الشريف الواضح أن يكون لها قبراً في الباشورة يفوق عمره ١٤٣ عاماً، وغير مدرج على خريطة القبور الأثرية؟

(١) الحنين إلى بيروت، م.م.، ج ٢، ص ١٨٦.

ب - كيف يمكن أن نفهم عدم تلميح أو ذكر لوجود قبر هؤلاء الأشراف عند كل الذين اشتغلوا بدراسة تاريخ بيروت ومقبرة الباشورة، والذين تحدثوا عن تفاصيل نقوش بعض القبور، أو السور، أو غيره؟

ج - هل هذا الأمر سقطة إحصائية، أو سهو علمي، أم تجهيل متعمد؟

د - لماذا هذا الضريح غير مرقم أسوة بباقي القبور والأضرحة في جبانة الباشورة؟

هـ - هل سيبقى الأمر على حاله أم سوف يستدرك ويتغير؟

وعلى كل حال، فإن القبر أي قبر بوجوده المادي الحسي مهما كان مبالغاً في زخرفته، أو متواضعاً في بنيانه، فهو لا يقدم ولا يؤخر شيئاً عن المدفون فيه، لأنه أضحى عند مليك مقتدر، وبين يديه صحائف أعماله يرجو رحمة ربنا ﷻ، وشفاعة نبينا الكريم ﷺ يوم الورود.

أما الأحياء، فلهم العبرة والاعتبار من خلال حفظ

هذه الآثار، والتي لو نطقت لرددت قول الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين: دع عنك ذكر أبي وجدي، فقد خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً.

ونردد مع الإمام علي الهادي عليه السلام القصيدة التي قالها في محضر المتوكل العباسي:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم

وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعدما قبروا

أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة

من دونها تضرب الأستار والكلل

فأصفح القبر حين ساء لهم
 تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
 قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا
 فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
 وطالما كنزوا الأموال وادخروا
 فخلفوها على الأعداء وانتقلوا
 أضحت منازلهم قفرًا معطلة
 وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
 سل الخليفة إذا وافت منيته
 أين الحماة وأين الخيل والخول
 أين الرماة أما تحمي بأسهمهم
 لما أتتك سهام الموت تنتقل
 أين الكماة أما حاموا أما اغتصبوا
 أين الجيوش التي تحمي بها الدول

هيهات ما نفعوا شيئاً وما دفعوا
عنكمنية إن وافى بها الأجل
فكيف يرجو دوام العيش متصلاً
من روحه بحبال الموت تتصل^(١)

(١) نقلاً من بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ينقله عن مروج الذهب
للمسعودي.

ج - كلمة أخيرة مع توصية

إن الغاية الأسمى للمجتمعات البشرية عبر التاريخ وحاضراً ومستقبلاً هي العدالة، والعدالة بمفهومها الواسع^(١)، هي حفظ كرامة الإنسان وحفظ حقوقه الطبيعية من مأكّل ومشرب، وتعليم وصحة، وأمن وأمان، ورخاء اقتصادي، وحرية الاعتقاد.

لذا جاء الإسلام لكي يرتب الشأن الإنساني كله، بجوانبه المادية والروحية والأخلاقية، ولكي يضع بين أيدي البشر الصيغة الأخيرة للتصور الإلهي للكون، والتي تكمن فيها مفاتيح السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة.

فالعدل بمختلف صورته هو الهدف الكلي للرسالة، وجوهر المجتمع الإسلامي وحجر الأساس فيه بعد

(١) للتوسع حول هذا المعنى أنظر: العدل والعدالة، أحمد محمد قيس، دار البيان العربي، بيروت، ط ١، ت ٢٠٢٢م.

التوحيد، هو هذه القيمة الكبرى، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

والإنسان في المفهوم الإسلامي مخلوق مكرم، ولأنه لم يخلقه عبثاً فقد اعتبر الجنس الإنساني خليفة الله في الأرض، مسؤول عن إعمارها وإشاعة العدل فيها، ولكي يتاح له ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان الكون كله، ووضعه تحت تصرفه، لكي يستثمره ويستمتع به، على أمل أن يترجم ذلك كله إلى رصيد للنهضة والتقدم، لتعمر الأرض ويسود العدل المنشود.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وفي قوله تعالى: كيف تعملون، هو منط التكليف الإنساني، فبعد الاستخلاف في الأرض أتى التكليف، وهذا التكليف ليس قهري بل خيار يلتزمه الإنسان بمطلق إرادته وحريته، يقول تعالى: ﴿كُلُّ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٤.

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً ﴿١﴾، ويقول أيضاً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿٢﴾. فبناءً على الخيار الذي يعتمده الإنسان في هذه الدنيا، يكون حصاده يوم الآخرة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وعليه، فإنه بمقتضى التكليف والاستخلاف، فالمسلم الرسالي مسؤول عن تغيير العالم نحو الأفضل وفق المشيئة الإلهية، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعليه أن يبدأ بنفسه أولاً، بحيث يترجم إيمانه دائماً إلى عمل صالح، ورحلة تغيير العالم في المفهوم الإسلامي تبدأ بتغيير الذات، لأن إقامة المجتمع الإسلامي السليم لا يتحقق إلا إذا قام كل مسلم يحمل هذه القناعة في أعماقه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿٣﴾. وهذه السنة الإلهية هي قهرية،

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ و٨.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

لأن النتائج تحددها الأعمال، أو كما يقال: الغنم بالغرم.

ومن المعلوم أن الله سبحانه لم يوحد العقول والطباع، لحكمة استفادة الإنسان من قدرات أخيه الإنسان بمعارف وإمكانيات لم تيسر له، ونتيجة لهذا التباين في الفهم والقدرة على تشخيص الأصلح، قد ينشأ الاختلاف وتتعدد وجهات النظر، ففي هذه الحالة وضع المولى عز وجل للمسلمين قاعدة كلية يجب التزامها والعمل بها تجنباً للشقاق والمنافرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

وعليه، فإن بناء المجتمع الإسلامي الأصيل يحتاج إلى تقوى من الله سبحانه، وإلى فكر ثاقب معطاء يبدع في الحياة بشكل إيجابي، ليصوغ هيكلًا حضاريًا، يشمخ فيه الإنسان المسلم في مسيرته الطويلة الشاقة، وليبرز

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

معالم إنسانيته في جوهرها الأصيل، وهذا لا يمكن تحقيقه إذا ما كان المجتمع الإسلامي غير متناغم ومتآلف وموحد، ونقصد هنا بالوحدة، الوحدة بالمشاركات الجامعة الأساسية. يقول تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

نختم هذه الكلمة بالقول: اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

توصية

في البداية أتوجه إلى السادة القيمين على إدارة الأوقاف في بيروت، وإلى السادة في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي تدير شؤون (جبانة الباشورة)، بالعمل سريعاً على تدارك هذا المعلم الأثري من الانهيار والتلاشي والاندثار، لأنه يشكل قيمة أثرية إسلامية، وحضارية إنسانية.

كما أتوجه إلى السادة نقابة الأشراف في بيروت، وإلى جمعية السادة الأشراف في لبنان، للتحرك سريعاً في سبيل إبراز هذا المعلم الشريف، ووضعه على خارطة الأضرحة الشريفة لذرية آل البيت عليه السلام في لبنان.

كذلك أتوجه إلى السادة الأشراف جامعة آل حمود في لبنان، للمسارعة في حفظ وصيانة ضريح أجدادهم من آل حمود الأدارسة في الباشورة.

وأخيراً أتوجه إلى أهل العلم والمعرفة، والباحثين

والطلاب، لا سيما في المجال التاريخي، أو الآثار، أو الحضارة والعمران، التوجه إلى جبانة الباشورة في بيروت للكشف عليها والعمل على دراسة الأضرحة القديمة ذات القيمة التاريخية والإسلامية والحضارية، لعله في عملكم هذا تساهمون في كشف الستار عن بعض الشخصيات الإسلامية المغفول عنها، والتي ساهمت بشكل أو آخر بإظهار الوحدة الإسلامية، والعمل عليها في بيروت انطلاقاً من الباشورة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملحق الفوتوغرافي

أ - ملحق الفصل الثاني



١ - بيروت منطقة الكرنتينا - الرمل ١٨٧٠م



٢ - بيروت الواجهة البحرية ١٨٨٠م



٣ - وسط بيروت شارع المعرض ١٨٨٠م



٤ - بيروت ساحة البرج ١٨٩٠م



٥ - بيروت ساحة رياض الصلح عام ١٩٠٠م

٦ - على اليمين شارع في بيروت قرب الجامعة الأمريكية عام ١٩٠٠م
وعلى اليسار شارع في وسط بيروت عام ١٩٠٠م



٧ - ساحة الشهداء في بيروت عام ١٩٣٢م

الملحق الفوتوغرافي

ب - ملحق الفصل الثالث

۱۰۰



١ - منطقة البسطة التحتا في بيروت حالياً



٢ - مركز جمعية المقاصد القديم في الباشورة منطقة البسطا التحنا



٣ - السور الجانبي الذي يحيط بجبانة الباشورة



٤ - ضريح الوالي العثماني أحمد حمدي باشا في جبانة الباشورة



٥ - مدخل الجبانة للباشورة



٦ - الطريق المؤدي إلى ضريح الأدارسة



٧ - ضريح آل حمود الأدارسة وتبدو عليه آثار الإهمال



٨ - الدكتور قيس يقف في مقدمة الضريح الشريف



٩ - الدكتور قيس يقف إلى جانب الضريح المتداعي



١٠ - النقش الموجود في أعلى بلاطة الضريح وكتب فيه
(الدولة الحسنية الحمودية للأدارسة العلويين)



١١ - صورة أوسع للنقوش المرسومة على الضريح الشريف وجاء فيها:
روضة تضم رفات أسباط علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام وأعقاب
أمير المؤمنين علي بن حمود الناصر لدين الله الإدريسي الحسني



١٢ - الدكتور قيس يقف في الناحية الخلفية للضريح الشريف



١٣ - الدكتور قيس يعاين النقوش على اللوحة الخلفية للضريح



١٤ - صورة أخرى للدكتور قيس
وهو يعاين أسماء السادة في الضريح الشريف



١٥ - جاء في النقوش على الضريح الشريف: يضم هذا المدفن رفات المغفور لهم السادات آل حمود الأدارسة الحسينيين وهم:

- السيد مصباح بن السيد عمر ١٣٠٥هـ

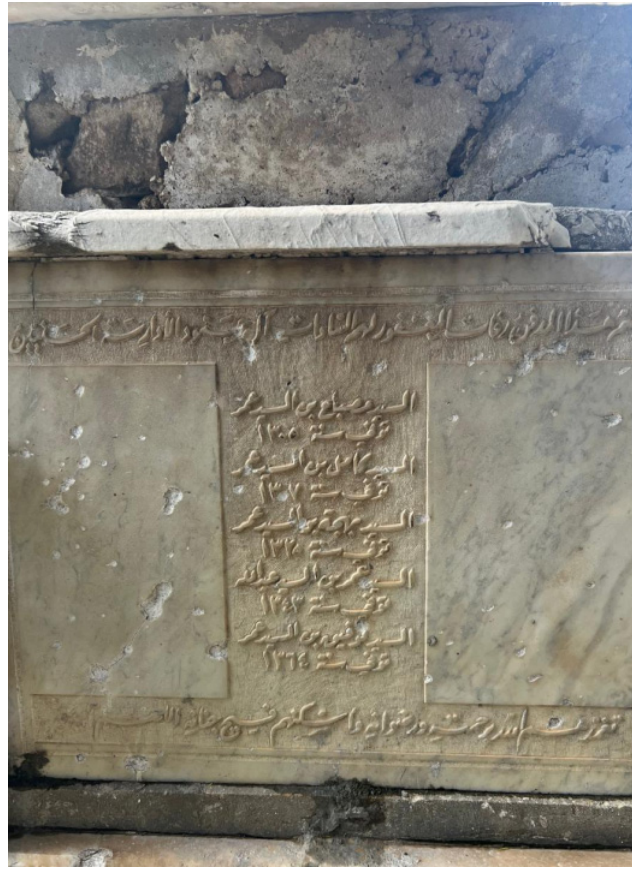
- السيد كامل بن السيد عمر ١٣٠٧هـ

- السيد بهجة بن السيد عمر ١٣٢٥هـ

- السيد عمر بن السيد عبد الله ١٣٤٣هـ

- السيد توفيق بن السيد عمر ١٣٦٤هـ

تغمدهم الله برحمته ورضوانه وأسكنهم فسيح جناته اللهم آمين



١٦ - صورة أقرب للوحة المنقوش عليها أسماء السادة الأشراف



١٧ - صورة لضريح الشيخ
محمد بن الشيخ محمد الحوت الكبير وهو من الأشراف



١٨ - الدكتور قيس إلى جوار ضريح نقيب الأشراف في بيروت
الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الحوت الكبير



١٩ - صورة لضريح عثماني أثري في جبانة الباشورة



٢٠ - صورة لضريح سيدة تركية من العهد العثماني وتدعى:
 أنا مورلى حبيبة بنت مصطفى صادق بيك، ويبدو أنها من الأشراف

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تقديم الشيخ غازي يوسف حنينه	أ
المقدمة	٧
أهمية هذه الدراسة	٨
المنهج المعتمد	٩
تقسيم الدراسة	١٠

الفصل الأول

أ - فلسفة الوحدة بالمعنى الأعم	١٥
ب - الوحدة الإسلامية	٢٢

ج - المجتمع الإسلامي الوحدوي ٣١

الفصل الثاني

أ - إطلالة مختصرة على بيروت في التاريخ ٤٣

ب - إطلالة مختصرة على الباشورة ومعالمها ٥٢

ج - الشخصيات البيروتية ونسبها الشريف ٥٩

الفصل الثالث

أ - الأدارسة ومقبرة الباشورة ٧١

ب - حمود وذريته ٧٧

ج - كلمة أخيرة مع توصية ٨٦

الملحق الفوتوغرافي : أ - ملحق الفصل الثاني ٩٣

الملحق الفوتوغرافي : ب - ملحق الفصل الثالث ٩٩

فهرس المحتويات ١٢١